وفصلت عنه بغنيمة وأبت إلى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين ٥

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريّق زماني الذي غبر إلى مجاورة أهل الوبر
لآخذ أخذ نفوسهم الأبية وألسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا
وجعلت أضرب في الأرض غورا ونجدا إلى أن اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من
الثاغية ثم أويت إلى عرب أرداف أقيال وأبناء أقوال فأوطنوني أمنع
جناب وفلّوا عني حدّ كل ناب فما تأوّبني عندهم همّ ولا قرع صفاتي سهم إلى
أن أضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم أطب نفسا بإلغاء طلبها
وإلقاء حبلها على غاربها فتبدّيت فرسا محضارا واعتقلت لدنا خطارا وسريت
ليلتي جمعاء أجوب البيداء وأقري كل شجر ومدر إلى أن نشر الصبح راياته
وحيعل الداعي إلى صلاته فنزلت عن ظهر الركوبة لأداء المكتوبة ثم حلت في
صهوتها وفررت عن شحوتها وسرت لا أرى أثرا إلا قفوته ولا نشزا إلا علوته
ولا واديا إلا جزعته ولا راكبا إلا استطلعته وجدّي مع ذلك يذهب هدرا
ولا يجد ورده صدرا إلى أن حانت صكة عمي ولفح هجير يذهل غيلان عن ميّ

وكان يوما أطول من ظل القناة وأحرّ من دمع المقلات فأيقنت أني إن لم
أستكن من الوقدة وأستجم بالرقدة أدنفني اللغوب وعلقتني شعوب فعجت
إلى سرحة كثيفة الأغصان وريقة الأفنان لأغور تحتها إلى المغيربان فوالله
ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت إلى سانح في هيئة سائح وهو
ينتجع نجعتي ويستن انعيلجة إلى بقعتي فكرهت انعياجه إلى معاجي واستعذت
بالله من شر كل مفاجي ثم ترجيت أن يتصدى منشدا أو يتبدى مرشدا فلما
اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي ألفيته شيخنا السروجي متشحا بجرابه
ومضطغنا أهبة تجوابه فآنسني إذ ورد وأنساني ما شرد ثم استوضحته
من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد بديها ولم يقل إيها ٥

قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزا زه
أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفا زه
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكا زه
فإذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جرا زه
ليس لي ما أسا إن فات أو أحزن إن حاول الزمان ابتزا زه
غير أني أبيت خلوا من الهم ونفسي عن الأسى منحا زه